

## مديحُ الرِّمَادِ



(1) ضوءٌ ثقيلٌ يندلقُ كاللَّـيْلِ خانقًا طيفه في سدولِ شدوهِ الدِّـافئِ أـعراسًا من  
جمرةِ شَطَايا الخيبةِ برؤيا العتمِ أـسـدلَ وخزَ القشرةِ وسرَّحَ أـخـيلتي الرِّـعـناءَ  
بالأـسـودِ الشِّـفـافِ منْ ظمأٍ يـرمي رَـبـيعي في قبورِ الأـثـيرِ بتراتيلِ قرمزٍ سَـةٍ . (2)  
هَذَا السَّحْرُ المرتابُ منْ جليدِ الصَّـمـتِ يشحُّ جراحَ الخلوِ وقبـوِ الماءِ منْ  
أـرـقـةِ الأـوراقِ حفيـفًا عنْ آخـرهِ لكلِّ العابرينَ أَو الغرباءِ في الهمسِ نسيمًا  
ليلملمَ حوريـةً كـفـي منْ الصَّـيـاعِ إلى التَّـشـرُّدِ الـذي يرقُبنا سباتًا . .  
سباتًا بنسيمِ الهواءِ الـذي يخلخلُ العلامةَ والأُفـوقَ في أـحـشاءِ الحـجـارةِ كلِّ نـزيفٍ  
واحتراقٍ يعودُ أـصـيلاً للأشياءِ الباليةِ فأـصـيرُ في صـدئي مسامٍ هـتـكي المـخـمـورِ منْ  
رمالٍ إلى جحيمٍ مثلَ الدُّجى المترنِّجِ في القوامِ المشرِّدِ في الرِّـيـحِ كِ  
الـرِّـمـادِ (3) مـا بينَ العتمـةِ والصَّـوـءِ يطلُّ خريفُهُ وشاحًا مرصَّعًا بالـغـرـبـةِ  
والمرارةِ ينبذُ غسقًا بروحي نبيذُ المارِّةِ بأصقاعِ الصَّـوـتِ الـسَّـرـمـديِّ في  
البهـاءِ وفي الجدارِ المائلِ في الخفاءِ تولدُ الجـمـرةُ منْ نقطةِ الماءِ بالثَّـبـيـحِ

الخصبِ على تخومِ الذِّهنيةِ لغواً مسرحياً سلاسلَ من الوقتِ تنتظرُ كالغابةِ أـ قفاصُ  
الأـجنحةِ . (4) المشهدُ القائمُ المنهلُ بالعتبةِ نشوةُ الفقراءِ حذاهُ تشعُّ خيوطاً  
إلى نطاقهِ الزِّرائعِ . . شاحبُ في تيههِ في وجهِ الهواءِ رنيناً يسقطُ الصَّقيعُ  
فوهةً كالذِّلجِ تجرُّ معها صدرُ الذِّصلِ أو تبيدُ . . تجيءُ من الفراغِ  
وأُ نشودُها الخاسرةُ تقتلعُ العطشَ بالوقتِ من مهبِّ الرُّدهاتِ وكلُّ خلوةٍ تهرمُ  
بعمقِ الصَّوتِ في نواحِ الصَّوءِ أـ سجافاً وارفةً بأروقتها الوهَّاجةِ . (5)  
الفقراءُ القتلى الذين مرُّوا بالحبْلِ على طينٍ وعتابةٍ يحملونُ المدارَ البعيدَ  
في همسةِ الفخاخِ نحوَ رصاصِ فاتحٍ ينتظرُ الهاويةَ في لوعةِ الخسارةِ فطويتُ البابَ  
قليلاً من حدِّةِ الدُّوارِ أو الذُّزولِ رغيلاً زهراً لأـ تقمَّصَ الظلِّ ولادةً طاعنةً  
(6) الأصدافُ الشَّاحبةُ ذاتُ الحمَّى اللِّيلكيةِ رخامُ الرِّيحِ بجحيمِ الصَّاعقةِ  
تأبَّطتُ وجهه المخبترُ أسلحة ناصية في صورةِ نَفسي خلجان دمايه بعدَ الزِّيفِ الأوَّالِ  
بالخطوِ المبرحِ تحتَ الرِّحيقِ المسفوحِ زمرةِ الصَّخرِ المستبدِ وأمضي محوياً بالحرقةِ  
بين الكائناتِ الذِّتاريةِ حتَّى أـ قبرَ الأـشياءِ رماداً لا ماءً . . (7) كلُّ  
الأـنفاسِ الخاملةِ بحطامه تطلقُ الرِّصاصَ بالرِّمادِ في أـ بهه الجراحِ ما بين  
الحكايا والحكايا بعيونِ العبورِ يورقُ الأـنين بنورِ الرِّشقِ وصخبِ الدِّمارِ  
وصقيعِ خمرته حتَّى يغزلَ سديمَ الدِّمِ نُجيمتي ويكشفُ اللِّيلُ عنُ فـجيعتي في  
استدارةِ مجهولةٍ وقبوةٍ منفوخةٍ تفرشُ الحقائقُ غيمةً بصلاحي أـ مومةِ المارِّينَ بعيداً  
عنُ شطايا الخريفِ هكذا أـ نبذُ القادمينَ في اللِّغورِ في العراءِ . (8) سُنونو  
يرتجفُ صخباً من حدِّةِ الموتِ تروي الملائكةُ ظلالاً ويغزلُ الوجعُ سهاداً أـ سودَ في  
مقبرةِ الجرذانِ وفي المناديلِ المجففةِ بالرعبِ رنيناً كالقداحةِ يرنو في الهتكِ  
الأوَّالِ بريحِ بـسملتي . . (9) شعباً من الفوضى يتكاثرُ أـ كفاً . . أـ كفاً إذ  
ينفجرُ كالقتلِ تحتَ دمعِ المسافاتِ على مرِّ الحالاتِ الميكانيكيةِ من صمتٍ إلى  
صمتٍ تبوحُ الأـعضاءُ بهزيعها: إنَّنا نركبُ الأـخطاءَ فخاخُ الغبارِ كالموجِ خوفُ لا  
يبيدُ السِّكينةَ من الخديعةِ يقتلُ الكلامُ نزفاً بيننا بقايا الحصارِ الحابلِ مثلِ  
الفراقِ . . (10) هيَ في الفقدِ شمعةُ في اصفرارِ الأـسودِ بخريفِ الرِّملِ وصحوةِ  
العتمةِ على أـطرافِ الأـجسادِ المطرِّزةِ بالمغيبِ والغبارِ من حدِّةِ الإِشراقِ . .  
(11) العزلةُ جسمُ نابضُ بالموتِ والوقتِ والدِّمارِ ينفخُ أـ جنحتَه كالأـفلاكِ وعابرُ  
التِّراتيلِ كوخزِ النِّتارِ المشرعِ بصفاءِ الصَّبابِ الغاضبِ رصاصاً سرمدياً كفضنوه  
بالصَّبَّاعِ تحتَ بهاءِ الطُّوفانِ ومتاهاتِ الانكسارِ . . (12) يـا هالكاً في الرِّغبةِ  
يـا حالمًا بالسَّطوِ يـا مرتجلاً في المحنِ هلْ يشقُّ الحضيضُ زرقتهُ حدساً للعفنِ؟

(13) وَحَدَهَا الرِّيحُ تَجِيءُ مِنْ اللَّيْلِ لَا عَقَابُ الْوَقْتِ لِيَكُونَ الْمَوْتُ رَجْفَةً  
وَلتكونَ المقابرُ دمًا يعطشُ الفقراءُ بينَ الرِّيحِ والنَّهارِ.